الدرس 1

السُّنَن الإلهية في الكون والإنسان

نِتاجاتُ التَّعلُّمِ

يُتوقَّع من الطلبة تحقيق النتاجات الآتية:

- بَيانُ مفهوم السُّنَن الإلهية وخصائصها.
- تَوْضيحُ أنواع السُّنَن الإلهية في الكون والإنسان.
- ذِكْرُ أمثلة على السُّنَن الإلهية في الكون والإنسان.
- تَوْضيحُ أهمية العلم بالسُّنَن الإلهية.
- الْحِرْصُ على توظيف السُّنَن الإلهية في الحياة اليومية.

التَّعلُّمُ القَبْليُّ

دعا الإسلام الإنسان إلى التفكر في خَلْق السماء والأرض وما فيها؛ لإدراك عظمة الخالق ﷻ، واستشعار الموجودات فيما يعود بالنفع على البشرية. كذلك دعا الإسلام الإنسان إلى النظر في أحوال الأمم والمجتمعات والاعتبار بها؛ بُغْيَةَ تعرُّف وسائل تقدُّمها، والحذر من أسباب انهيارها وفنائها.

أَسْتَنْتِجُ

أَسْتَنْتِجُ دلائل قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

١) تدبر آيات الله في الكون وفي أنفسنا يقودنا إلى معرفة الله تعالى وعبادته.

٢) التفكر في خلق الإنسان.

التَّفهُّمُ والتَّحليلُ

لماذا جعل الله تعالى للكون والمجتمعات سُنَنًا وقوانين تنتظم بها الحياة، ويُمكِن تعرُّفها باستقصاء ما أخبر به القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة عن أحوال الأمم الماضية، وبالنظر والتفكُّر في هذا الكون.

كيف يمكن تعرف السنن والقوانين الإلهية؟ عن طريق

Watermarkly
Scanned with CamScanner

الخَريطَةُ التَّنظيمِيَّةُ

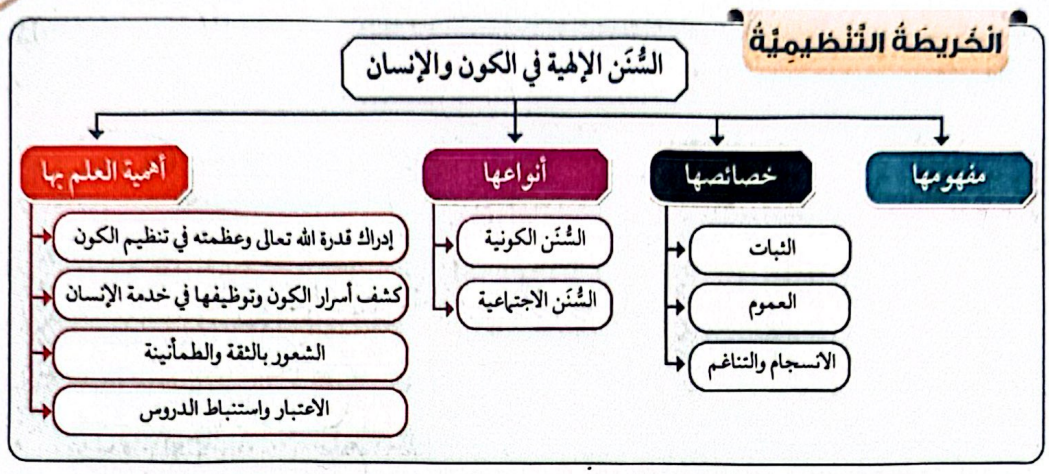

أَوَّلًا مفهوم السُّنَن الإلهية وخصائصها

السُّنَن الإلهية: هي القوانين الثابتة التي أوجدها الله تعالى لتَحْكُم حركة الكون والإنسان، وتضبط نظام الحياة، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ فقد أوضح الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّه الخالق لكلِّ ما في هذا الكون، وأنَّه المُتصرِّف فيه وحده.

تمتاز السُّنَن الإلهية بخصائص عِدَّة، منها:

أ. الثبات: السُّنَن الإلهية لا تتبدَّل ولا تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]. وفي ذلك تمكين للإنسان من تسخير هذه السُّنَن والاستفادة منها.

ب. العموم: السُّنَن الإلهية عامة؛ فهي تشمل جميع المخلوقات، ولها يخضع كلُّ مخلوق منها، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ج. الانسجام والتناغم: السُّنَن الإلهية ينسجم بعضها مع بعض، وهي غير مُتناقِضة؛ فالكون وكلُّ ما فيه يسير وَفق قوانين مُحْكمة وثابتة، لا تتبدَّل، ولا تتناقض، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

ثانيًا أنواع السُّنَن الإلهية:

تنقسم السُّنَن الإلهية التي تَحْكُم نظام الكون إلى نوعين، هما: السُّنَن الكونية، والسُّنَن الاجتماعية.

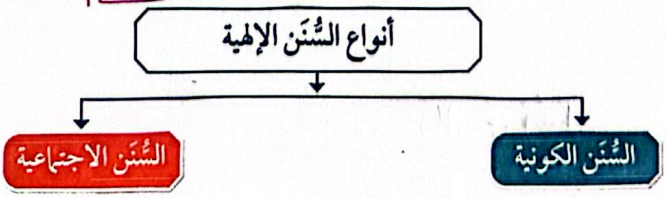

Watermarkly
Scanned with CamScanner

2 أ. السُّنَن الكونية: هي القوانين الثابتة التي أوجدها الله تعالى لكي تَحْكُم الظواهر الكونية وحركتها وَفق إرادته ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. ومن هذه السُّنَن الكونية:

1 الزوجية: خلق الله تعالى المخلوقات في هذا الكون من زوجين؛ ما يعني أنَّ الزوجية لا تختصُّ بالإنسان وحده، وإنَّما تتعدّاه إلى النبات والحيوان وبقيَّة المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وهذه السُّنَّة هي السبيل إلى استمرار الوجود على الأرض، عن طريق التكاثر الناتج من التزاوج بين الذَّكَر والأنثى في الكائنات الحيَّة.

وفي ذلك دلالة على أنَّ التزاوج بين الذَّكَر والأنثى هو الوسيلة الوحيدة لاستمرار الحياة في هذا الكون.

أتوقَّف

تحتكم جميع المخلوقات في الكون إلى قانون الزوجية؛ ما يُؤكِّد حاجة كلِّ مخلوق إلى غيره ممَّن يُكمِّله ويُعينه. أمّا الخالق ﷻ فقد تفرَّد بصفات الكمال والعظمة والقوَّة؛ لذا تنزَّه ﷻ عن اتِّخاذ الزوجة والولد. علل

أُناقِش

أُناقِش خطر الدعوات المُنادية بالشذوذ، وما تُمثِّله من تهديد وإضرار بالأفراد والمجتمعات.

2 الحياة والموت: أنعم الله تعالى على جميع المخلوقات بالإحياء والإيجاد، وجعل الموت حقًّا على كلٍّ منها، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]. فمهما طال عمر الإنسان أو قَصُر، فإنَّ مصيره إلى الموت.

واليقين بوقوع الموت هو نتيجة حتمية تثير في النفوس الحرص على نيل رضا الله تعالى بتجنُّب المعاصي والنواهي، والتقرُّب إليه بأداء الأعمال الصالحة.

3. حركة الأجرام السماوية، وتعاقب الليل والنهار: قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨-٤٠] (كَٱلْعُرْجُونِ كعود النخل اليابس).

أبحَثُ عَنْ

أبحَثُ عَنْ سُنَّة أُخرى من السُّنَن الإلهية في الكون.

دورة الماء في الحياة

Watermarkly
Scanned with CamScanner

ب. **السُّنَن الاجتماعية**: هي القوانين الثابتة المُتعلِّقة بحياة الناس، وما يترتَّب على ذلك من آثار في الحياة الدنيا، مثل: السَّعَة والضيق، والسعادة والشقاء، والعِزّ والذُّل، والرُّقيّ والتخلُّف، والقوّة والضعف.

ومن هذه السُّنَن في المجتمعات الإنسانية:

1. **الرفاه والازدهار**: جَرَتْ سُنَّة الله تعالى أنَّ الرفاه والازدهار يكون بالعمل والإنتاج وبذل الجُهد، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]. فإذا أُضيف إلى هذ السعي والعمل الإيمان بالله تعالى، كان كمال الرفاه والازدهار، وأفضى الازدهار المادي إلى الازدهار الروحي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

قَضِيَّةٌ لِلنِّقاشِ

كَيْفَ أُفسِّر تقدُّم بعض المجتمعات غير المُسلِمة علميًّا وماديًّا خلافًا لبعض المجتمعات المُسلِمة التي تعاني الجهل والفقر؟

2. **التغيير**: قضت سُنَّة الله تعالى بأنَّ تغيير أوضاع الأُمم والشعوب (تقدُّمًا أو تأخُّرًا، قوَّةً أو ضعفًا) يكون بأيديها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. فتغيير الله تعالى لأوضاع الناس مُرتبط بتغييرهم لأنفسهم وأحوالهم. وحين يتحلى أفراد المجتمع بالقِيَم النبيلة (مثل: الإخلاص، والعدل، والتعاون)، ويجتنبون الفساد والظلم، فإنَّ المجتمع يصبح مُتماسِكًا قويًّا، ويجد طريقه نحو التقدُّم والازدهار والرخاء والمَنَعة. أمّا إذا ساد الفساد والظلم أوساط المجتمع، فإنَّه سيعاني حالة من الضعف والتأخُّر، وسيكون عُرْضة للانهيار والانحطاط.

3. **النصر والتمكين**: تعتمد قوّة الأُمَّة ومَنَعتها على مُقدِّمات وأسباب لا بُدَّ أن تتحقَّق. وإنَّ من أسباب نصر الله تعالى للمؤمنين أن ينصروا دينه، وأن يكون هذا النصر بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، وإعداد وسائل النصر المادية والمعنوية، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠- ٤١]. فصفات الذين يستحقّون التمكين في الأرض كما تشير الآية الكريمة هي: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكَر.

ومع هذا الإعداد الروحي، لا بُدَّ من الإعداد المادي والأخذ بكلِّ أسباب القوَّة والمَنَعة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وكذلك، فإنَّ وحدة الأمَّة هي من أهمِّ أسباب النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أربِطُ

أربِطُ بين سُنَّة التمكين وقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

.....

ثالثًا أهمية العلم بالسُّنَن الإلهية في الكون والإنسان

دعا القرآن الكريم المسلمين إلى تعرُّف سُنَن الله تعالى في الكون والإنسان في كثير من الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]. وللعلم بالسُّنَن الإلهية في الكون والإنسان أهمية كبيرة تتمثَّل فيما يأتي:

أ. إدراك قدرة الله تعالى وعظمته في تنظيم الكون: يدلُّ تكامل هذه السُّنَن والقوانين وانسجام بعضها مع بعض على أنَّ مصدرها واحد؛ ما يُؤكِّد وحدانية الخالق ﷻ.

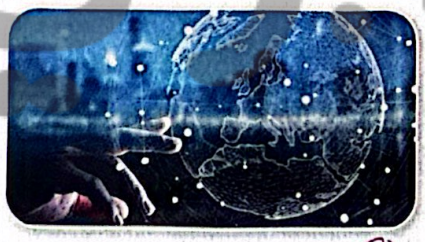

ب. كشف أسرار الكون وتوظيفها في خدمة الإنسان: يتعيَّن على الإنسان أنْ يُدرك سُنَن الله تعالى في خَلْقه؛ لكي يتمكَّن من فهم محيطه. فكلُّ الظواهر التي تحيط بالإنسان تحدث وتتكرَّر وَفق السُّنَن التي وُضعت لها، وإنَّ ثبات هذه السُّنَن والقوانين واستمرارها يتيح للإنسان أنْ يكتشف كثيرًا منها، ويفهمها، ثمَّ يُوظِّفها في خدمة البشرية.

جـ. الشعور بالثقة والطمأنينة: تُفضي معرفة هذه السُّنَن إلى بعث الثقة والطمأنينة في النفوس، وتحقيق العدالة الإلهية المُطلَقة.

د. الاعتبار واستنباط الدروس: تُسهم معرفة السُّنَن الإلهية في تمكين الأمَّة من الوقوف على حركة التاريخ للاعتبار، والاستفادة منها في بناء الحاضر ورؤية المستقبل، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

Watermarkly
Scanned with CamScanner

الإثراءُ والتَّوسُّعُ

جعل الله تعالى لهذا الكون نظامًا يقوم على سُنَن لا تُخرَق إلّا بمشيئته سبحانه كما هو حال المعجزات التي تُعَدُّ استثناءً من القاعدة التي قام عليها الكون؛ لتكون دليلًا على صِدْق الأنبياء والمرسلين ﷺ، وأنّها مُرسَلة إليهم من الله تعالى؛ إذ كانت هذه المعجزات خارقة لبعض السُّنَن الإلهية. ومن ذلك:

السُّنَّة الإلهية	المعجزة
① حَرْق النار مَنْ يتعرَّض لها	جعل الله تعالى النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ﷺ، فلم تَمسَّه بسوء
② اتِّصاف الماء بالانسياب والجريان	شقَّ الله تعالى طريقًا في البحر لتمكين سيِّدنا موسى ﷺ وأتباعه من النجاة، والحيلولة دون لحاق فرعون وجنوده بهم
③ ولادة الإنسان عن طريق زواج الذَّكَر بالأنثى	كانت ولادة سيِّدنا عيسى ﷺ من أُمٍّ دون أب

دِراسَةٌ مُعَمَّقَةٌ

عُنِيت كتب كثيرة بالحديث عن السُّنَن الإلهية، مثل كتاب (من سُنَن الله في عباده) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. وفيه تناول المُؤلِّف عددًا من السُّنَن الإلهية.

باستخدام الرمز المجاور (QR Code)، أَرْجِعُ إلى هذا الكتاب، ثمَّ أَتَعَمَّقُ في دراسة إحدى السُّنَن العظيمة الواردة فيه، وهي سُنَّة التغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

القِيَمُ المُستَفادَةُ

أَستَخلِصُ بعض القِيَم المستفادة من الدرس.

1) أَتَفَكَّرُ في إبداع الله تعالى المُتمثِّل في خَلْق الكون وما فيه.

2) .....

3) .....

Watermarkly
Scanned with CamScanner

التقويم والمراجعة

1 أُبيِّنُ مفهوم كلٍّ ممّا يأتي:

أ . السُّنَن الكونية. ب. السُّنَن الاجتماعية. جـ. السُّنَن الإلهية.

2 أَسْتَنْتِجُ دلالة قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

3 أُوَضِّحُ: من خصائص السُّنَن الإلهية، العموم.

4 أَذْكُرُ فائدتين تدلّان على أهمية العلم بالسُّنَن الإلهية في الكون والإنسان.

5 أُعَلِّلُ كُلًّا ممّا يأتي:

أ . يتعيَّن على الإنسان أنْ يُدرِك سُنَن الله تعالى في الخَلْق.

ب. تُعَدُّ المعجزات استثناءً من القوانين التي قام عليها الكون.

6 أَخْتارُ الإجابة الصحيحة في كلٍّ ممّا يأتي:

1. يدلُّ قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ على أحد أسباب النصر والتمكين في الأرض، وهذا السبب هو:

أ . الإعداد المادي. ب. الإعداد الروحي.

(جـ) وحدة الأُمَّة. د . تغيير المفاهيم والأفكار.

2. يدلُّ قول الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ على واحدة من خصائص السُّنَن الإلهية، هي:

أ . العموم. (ب) الثبات.

جـ. التغيير. د . الاتِّعاظ وأخذ الدروس.

3. السُّنَّة الاجتماعية التي أشار إليها قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ هي:

(أ) الرفاه والازدهار. ب. التغيير.

جـ. الزوجية. د . النصر والتمكين.

Watermarkly
Scanned with CamScanner